المدارس الأوربية والأمريكية

١ - مدرسة (براغ - praug school) التي وضعت نظرية كاملة في التحليل الفنولوجي- phonology، ظهرت في أوربا، ومن أبرز روادها العالمان: (نيكولاي تروبنسكوي (١٨٩٠م- ١٩٣٨م) - N Trubetskoy) و (رومان ياكبسون (١٨٩٩م- ١٩٨٢م) - R Jakobson) اللذان وضعا أصول علم اللغة البنيوي-structural linguistics انطلاقا من التحليل الفنولوجئ للغة ولاسيما عند (تروبتسكوي) الذي أقام تصوره للفونيم - phoneme على أساس التفرقة بين اللغة) و (الكلام) عند (دوسوسبر)، إذ إنّ الفونيم ينتمي إلى مفهوم (اللغة)، أما الأصوات فتنتمي إلى مفهوم (الكلام). وهذا يعني أنّ (مدرسة براغ) قد فرقت بين علم الأصوات والفنولوجيا، على أساس أن علم الأصوات يختص بدراسة الأصوات ويحللها وهي منعزلة وظيفيا أو مجردة عن غيرها من الأصوات، أي بغض النظر عن وظيفتها اللغوية ودورها في المعنى. أما الفنولوجيا، فهو العلم الذي يختص بمعالجة الظواهر الصوتية بالنظر إلى وظيفتها داخل البنية اللغوية، وبناء على ذلك حدد اليونسكوي) مفهوم الفونيم بأنّه النموذج الصوتي الذي يميّز الحدث الكلامي المعين- speech event من غيره [١].

٢ - مدرسة وبنهاجن، وهي التي أسسها العالم اللغوي الدنماركي (هلمسليف (ولد عام ١٨٩٩م) -Hielmslev ، وهو اسم مشتقٌ من الكلمة اليونانية (glossa) التي تعني (اللسان) أو (اللغة)، وقد أسست هذه المدرسة في أوربا على أصول رياضية mathematical صورية، احتيج للتعبير عنها إلى مصطلحات جديدة غير المصطلحات المعروفة المتداولة، بحيث كانت هذه المصطلحات من الغرابة والغموض ما جعلها سببا في الحد من انتشارها، ومن أشهر روادها (أتو بسبرسن (١٨٦٠ م -١٩٤٢م) - Otto Jespersen .[٢] وقد انطلق (بلمسليف) في نظريته من أصلين، هما: الأول/ أنّ اللغة ليس مادة

---

(١) ينظر : دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص ٢٠-٢١.

(٢) وهو صاحب كتاب (اللغة بين الفرد والمجتمع الذي ترجمة عام ١٩٥٤م عبد الرحمن أيوب، وقد أشار إلى هذه الترجمة وعلق عليها الدكتور محمود السعران. (ينظر: اللغة والمجتمع، د. محمود السعران،ص/١٦) .

Substanc، وإنما هي صورة أو شكل form. والآخر أنّ اللغات كافة تشترك في كونها تعبيرا expression ثم محتوىContent [٣]

٣ - مدرسة فيرث (١٨٩٠م-١٩٩٠م)- . Firth R : وهي مدرسة أوربية لغوية أيضا تهتم بالمعنى، تكونت منها مدرسة لغوية في بريطانيا أطلق عليها (المدرسة اللغوية الاجتماعية)، وهي مدرسة أثرت في التفكير العربي الحديث تأثيرا واضحًا، إذ تتلمذ على يد (فيرث) عددٌ من أساتذة اللغة العربية في مصر [٤]. كانت نظرية (فيرث) محصلة للدراسات اللغوية التي بدأت في بريطانيا منذ نهاية القرن الثامن عشر، حينما كشف العالم (وليم جونز ١٧٤٦م- ١٧٩٤) علاقة اللغة السنسكريتية باللغتين اليونانية واللاتينية، فضلاً عن مخلفات الفكر اللغوي في أوربا ولاسيما نظرية الفونيم التي صاغها علماء (مدرسة براغ). ويُعد (فيرث) أول عالم بريطاني وضع نظرية لغوية حديثة، بعد أن كان اهتمام علماء اللغة في بريطانيا لا يعدو وضع المعجمات والدراسات الصوتية واللهجية، متأثرا في ذلك بجهود العالم الانثربولوجي (مالينوفسكي (: ١٨٨م-١٩٤٢ م Malinowski.B)) الذي جرت معظم أبحاثه في جنوب المحيط الهادي بين سكان جزر (تروبرياند)، إذ وجد هذا الباحث نفسه أمام مشكلة ترجمة العبارات اللغوية التي يستعملها سكان هذه الجزر إلى اللغة الانكليزية، وبخاصة العبارات التي تتعلق بدينهم، أو التي لها أهمية ثقافية خاصة، وحين حاول حل هذه المشكلة وجد نفسه – من دون قصد - يصوغ نظرية في اللغة والمعنى، سميت ب(نظرية السياق). وكان ل(فيرث) اهتمام خاص باللغات الشرقية، فقد عاش مدة من الزمن في الهند، وتأثر بجهود علماء اللغة الهنود القدماء، ووصفهم اللغة السنسكريتية وبخاصة من الناحية الصوتية، ممّا أهله إلى وضع نظرية لغوية قامت عليها مدرسة لغوية مستقلة في تاريخ الفكر اللغوي في بريطانيا، وكان حجر الزاوية في هذه النظرية هو فكرة السياق - cotext[٥]

ثانيا/ المدارس الأمريكية: تمثلت هذه بادي الأمر بآراء (إدوارد سابير١٨٨٤م-١٩٣٣م E. Sapir) الذي ولد في أوربا، وانتقل إلى الولايات الأمريكية المتحدة، وأصبح رائدًا للبنيوية، وعلم أجيالا من علماء اللغة الأمريكيين، إذ كان ذا ثقافة علمية ولغوية واسعتين، فقد انطلق في دراسته اللغة من فكرة (النماذج اللغوية -

---

(٣) Todorov, Ency. Dict, olsciences of lang, p٢٠.

(٤) منهم: د. محمود السعران، ود. إبراهيم أنيس، ود. كمال محمد بشر، ود. عبد الرحمن أيوب، ود. تمام حسان،ود. محمد أحمد أبو الفرج. ينظر: دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص ٣٠).

(٥) علم اللغة الحديث، ص/٣٢٦-٣٢٧.

linguistic patterns) التي تعني أنّ كل إنسان يحمل في داخله الملامح اللغوية لنظام لغته، وهي نماذج ثابتة، وذلك في قبالة الاستعمال الفعلي للغة المتمثل في المادة اللغوية المنطوقة [٦]. وهو بذلك ينحو نحو ثنائية (دوسوسير) المتمثلة (باللغة والكلام)، وقد أفاد منها فيما بعد (نعوم تشومسكي) بثنائيته المتمثلة بالقدرة اللغوية - Competence، في قبالة الأداء اللغوي - Preformans

بقية أراء (سابير) تدور في فلك الجوانب الحضارية والثقافية والاجتماعية للغة الإنسانية، لم ترتق إلى مصاف المدرسة. وفي ذلك الوقت برزت ثلاث مدارس أمريكية هي:

١ - المدرسة السلوكية أو (مدرسة بيل - yale): وهو اسم الجامعة التي كان يعمل فيها مؤسسها العلم اللغويّ (وليونارد بلومفيلد١٨٨٧م-١٩٤٩ - L، Bloom field) أستاذًا إلى الدراسات اللغوية، فقد استطاع هذا العالم أن يكون لنفسه مدرسة لغوية واضحة ومستقلة في تاريخ الفكر اللغوي الإنساني بعامة، والفكر اللغوي الأمريكي بخاصة. التزم (بلومفيلد) بالمنهج البنيويّ الوصفيّ، ولكن بطريقة خاصة، أصبحت علما عليه وعلى مدرسته اللغوية، إذ كان يفهم مصطلح (العلمية) على أنّه يضمن رفض أية مادة غير قابلة للملاحظة المباشرة، أو بالأحرى غير قابلة للقياس المادي، وكان متأثرا في ذلك ..(علم النفس السلوك - behaviourism) لاسيما (واطسون١٨٧٨م-١٩٥٨م– B. Watson) الذي رأت أن علم النفس ليس بحاجة إلى التسليم بوجود العقل، أو أي شيء آخر، لا يمكن ملاحظته ملاحظة مباشرة أو قياسه. إنّ اللغة عند (بلومفيلد) ومن تبعه من السلوكيين ليست إ نوعاً من الاستجابات الصوتية لحدثٍ معينٍ، فالإنسان يسمع كلاما أو يرى شيئا أو يشعر بشعورٍ ما، فيتولد عن ذلك استجابةكلامية، من دون أن ترتبط هذه الاستجابة بأية صورةٍ من صور التفكير العقلي، والإنسان - عنده -

في هذا يشبه الحيوان. وبذلك رفضت السلوكية دراسة المعنى أو البحث في الدلالة، بل ركزت في الجانب المادي للغة.

٢ - مدرسة هارفارد - Harvard University: ويتزعمها ياكبسون الذي هاجر من أوربا إلى

أمريكا عام١٩٥٠م ، متبنية آراء (دوسوسير)، وقد كان (نعوم تشومسكي) واحداً من تلاميذ هذه المدرسة في مقابل مدرسة (بيل) السلوكية التي كان يتزعمها

---

(٦) ينظر : دراسات في اللسانيات التطبيقية ، ص/٣٨.

(زيلج هارس - Zellig Harris) الذي ولد عام (١٩٠٩م)، وقد وقعت صدامات عنيفة بين المدرستين، ولكن (ياكبسون) وتلاميذه حاولوا الاستفادة من المنهج التوزيعي في التحليل اللغويّ، غير أنّهم تمسكوا في الوقت نفسه، بمبدأ الملامح المميزة - distinctive features) التي تميزت بها مدرسة (براغ)، وكان لنمو نظرية المعلومات -information theory) وتطورها، ودخول الرياضيات في مجال التحليل اللغوي، أكبر الأثر في إزاحة الخلافات التي كانت قائمة بين المدرستين، وامتزج ذلك كله في نظرية تشومسكي [٧].

٣- مدرسة التوليدية التحويلية - Transformational Generative Linguistics- : انطلق (نعوم تشومسكي - Noam CHomske) مؤسس هذه النظرية من اعتقاده بأنَّ الهدف الأول من دراسة اللغة الإنسانية هو معرفة طبيعة العقل البشري، وكيف يعمل، وأنَّ تركيب اللغة يتحدد بتركيب العقل الإنسانيّ، وأنَّ وجود خصائص لغوية عامة تجمع كل اللغات لهو دليلٌ على أنّ هذا الجانب من الطبيعة البشرية واحد وعام عند جميع البشر، بغض النظر عن الأصل والعرق والطبقة والفروق لعقلية أو الطبيعية، لذلك رفض الأنموذج اللغوي السلوكي الذي وضعه (بلومفيلد)؛ لأنّه يتعامل مع الإنسان كأنه حيوان أو آلة، حينما يقول إنّ الحدث اللغوي ما هو إلا استجابة لمثير، وهو بذلك أي بلومفيد - قد غفل عن قوى أعمق أثرًا وراء انتاج الحدث اللغوي، تتمثل بالعقل من ناحية والقدرة الإبداعية للغة الإنسانية من ناحية أخرى، أي قدرة اللغة غير المحدودة التي تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على أنتاج عدد غير محدود من الجمال وفهمها وتكه ينها، لم يسمعوا بها قط من قبلُ، ولم ينطق بها أحدٌ من قبلُ [٨]. يُعدُّ (تشومسكي) نفسه لغوياً عقلانياً، لأنّه يرى أنَّ الإنسان قدرة عقلية لا يمتلكها الحيوان ولا انه ، أنموذجا فريدًا، وأنَّ هذه القدرة تتمثل في هذا الجانب الخلاق أو الإبداعيّ من العقل البشري، التي تُعد اللغة الإنسانية من ابرز مظاهره [٩]. قسم (تشومسكي) النظام اللغوي العام المجرد على مفهومين هما[١٠]:

---

(٧) ينظر : دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص/٤٥-٤٦.

(٨) ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية، ص/٨.

(٩) Chomsky, Cartesian linguistics, pp.٣٥, pp.٦٠- ٦٣،

(١٠) ينظر: علم اللغة المعاصر (مقدمات وتطبيقات)، ص/٦١.